﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْۖ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧﴾ [غافر: 7]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

في مناسبة الآية لما قبلها وجهان؛ **أحدهما**: لمّا بيَّن تعالى أنَّ الكفّار يبالغون في إظهار العداوة مع المؤمنين؛ بيَّنَ أنَّ أشرف طبقات المخلوقات هم الملائكةُ الَّذينَ هم حَمَلَةُ العرشِ والحافّونَ حولَهُ يبالغونَ في إظهارِ المحبَّةِ والنُّصرةِ للمؤمنينَ(1).

والآخر: لمّا ذكرَ سبحانَهُ جدالَ الكفّارِ في آياتِ اللّه وعصيانَهم؛ ذكر طاعةَ حَمَلَةِ العرش والحافّينَ به من الملائكة(2).

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَسِعۡتَ﴾: (وسع) أصلٌ يدلُّ على خلاف الضّيقِ والعُسْرِ، ومِنْ ذلك: السَّعَةُ، وهي ضدُّ الضّيق(3)، والوُسْعُ، وهو الغِنى، والجِدَّةُ والطّاقةُ، وأوسعَ الرَّجلُ؛ إذا صارَ ذا سَعَةٍ وغِنًى(4)، والمرادُ بالسَّعةِ في الآية: الشُّمول.

2) ﴿سَبِيلَكَ﴾: (سبل) أصلٌ يدلُّ على امتدادِ شيءٍ(5)، ومِن ذلك: السَّبيلُ، وهو الطَّريقُ، سُمّيَ بذلك لامتداده، والسّابلةُ: المختلفةُ في السُّبُلِ جائيةً وذاهبةً، وسُمّيَ السُّنبلُ سُنبلًا لامتدادِهِ، يقال: أسبلَ الزَّرعُ؛ إذا خرجَ سُنبلُهُ(6)، والمرادُ بالسَّبيل هنا: طريقُ اللّه تعالى، وهو الإسلامُ.

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 487، والبقاعي، نظم الدرر: 17/ 11.
(2) أبو حيان، البحر المحيط: 9/ 237.
(3) السمين، عمدة الحفاظ: (وسع).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة، والجوهري، الصحاح، والزبيدي، تاج العروس: (وسع).
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سبل).
(6) الجوهري، الصحاح، والزبيدي، تاج العروس: (سبل).

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

شَفَقَةُ الملائكةِ بالتّائبينَ إحسانٌ إلهيٌّ مُبينٌ

يُخبرُ اللّه تعالى عن حال الملائكة الطّائفينَ الَّذين يحملونَ العرشَ ومَنْ حولَهُ بأنَّهم لا ينفكّونَ عن تسبيحِ اللّه تعالى وتنزيهِهِ عمّا يقولُهُ الكافرونَ، مع الحمدِ له تعالى والثَّناءِ عليه والإيمانِ به، وهم يطلبونَ منه غُفرانَ سيِّئاتِ المؤمنينَ، وقبولَ توبةِ التّائبينَ الَّذينَ سَلكوا طريقَهُ، ويطلبونَ منه أيضًا أنْ يصرفَ عنهم عذابَ الجحيم[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

نكتةُ فصلِ الآيةِ عن سابقتِها:

ذِكرُ الثَّناء على المؤمنين بعد ذكرِ وعيدِ المشركينَ

فُصِلَ قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ﴾ عمّا قبله؛ لأنَّهُ استئنافٌ ابتدائيٌّ، انتُقِلَ فيه مِن ذكرِ الوعيد المُؤذِنِ بذمِّ الَّذينَ كفروا إلى ذِكر الثَّناء على المؤمنين؛ فإنَّ الكلام الجاريَ على ألسنة الملائكة مِثلُ الكلام الجاري على ألسنةِ الرُّسُلِ؛ إذ الجميعُ من وحيِ اللّه، والمناسبةُ المضادَّةُ بينَ الحالَين والمقالين[2].

تسليةُ النَّبيِّ ﷺ

أو هو استئنافٌ مَسوقٌ لتسليةِ رسولِ اللّه ﷺ، ببيان أنَّ الملائكةَ الَّذين هم في المحلِّ الأعلى مثابرونَ على ولاية مَن معه من المؤمنين ونُصرتِهم واستدعاءِ ما يُسعِدُهم في الدّارين[3].

بيانُ حالِ غيرِ المجادلينَ بالباطلِ

ويجوز أن يكون استئنافًا بيانيًّا ناشئًا عن وعيد المجادلينَ في آيات اللّه، وذلك بأنْ يسأل سائلٌ عن حال الَّذينَ لا يجادلون في آياتِ اللّه، بل يؤمنون بها[4].

غرضُ التَّعبيرِ بالاسمِ الموصولِ:

تشريفُ حَمَلَةِ العرشِ من الملائكةِ

عبَّر النَّظمُ بالاسمِ الموصولِ في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ

(1) ابن جرير، جامع البيان: 21/ 354، والمراغي، تفسير المراغي: 24/ 47.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 89.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 300.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 89.

ٱلْعَرْشَ﴾؛ للدَّلالةِ بما في حيِّز الصِّلة على شرفِ هذه الطّائفةِ من الملائكة؛ إذ هي مختصَّةٌ بحَمْلِ العَرْشِ الَّذي هو أعظمُ المخلوقات، وهذه الدَّلالةُ لا تُستفادُ من التَّعبير بلفظِ الملائكة.

نكتةُ التَّعبيرِ بالمضارعِ في قوله: ﴿يَحْمِلُونَ﴾:

آثرَ النَّظمُ التَّعبيرَ بصيغة المُضارعِ في قولِهِ تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ﴾؛ للدَّلالةِ على أنَّ الحملَ واقعٌ على سبيلِ التَّجدُّدِ والاستمرار.

نكتةُ تعريفِ ﴿ٱلْعَرْشَ﴾:

تشريفُ الملائكةِ بحملِ عرشِ الرَّحمنِ

تعريفُ ﴿ٱلْعَرْشَ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ﴾ للعهدِ العلميِّ؛ لأنَّ العرشَ في الأصلِ يدلُّ على سريرِ المَلِكِ والبناءِ العالي والسَّقفِ المرتفعِ ونحوِ ذلك، ثمَّ صارَ علَمًا على عرشِ اللَّهِ ﷻ على الاختلافِ في المرادِ بهِ، فإذا أُطلِقَ في القرآنِ؛ فلا يتبادرُ الذِّهنُ إلى غيرِهِ.

بلاغةُ عطفِ: ﴿وَمَنْ حَوْلَهُۥ﴾:

ذِكرُ صنفٍ آخرَ من الملائكةِ

الواوُ في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ حَوْلَهُۥ﴾؛ لعطفِ الاسم الموصول على الموصول الأوَّل في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ﴾، فيدلُّ على جنسٍ آخرَ من الملائكةِ، وهم الَّذينَ يطوفونَ بالعرشِ مُهلِّلينَ مُكبِّرينَ[1]؛ إظهارًا لتعظيمِ الخالقِ الجليلِ الَّذي خلقَهُ[2].

غرضُ التَّعبيرِ بالاسمِ الموصولِ:

الإبهامُ يوحي بالفخامةِ والجلالةِ

عبَّر النَّظمُ الكريمُ بالموصولِ وصلته في قوله: ﴿وَمَنْ حَوْلَهُۥ﴾؛ لبيانِ شرفِ المذكورينَ الَّذينَ أُبهموا في الاسم الموصول، ثمَّ فُسِّروا بالصِّلة تفسيرًا يكشفُ عن مدحِهم والثَّناءِ عليهم بأنَّهم من حولِ العرشِ المعظَّم، وفي إبهامِهم ما يُشعرُ بكثرةٍ لا يُحيطُ بها عقلٌ، ولا يُحصيها عدٌّ.

(1) الشوكاني، فتح القدير: 4/ 553.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 89.

دلالةُ التَّعبيرِ بالأفعالِ المضارعةِ:

أذكـارُ الملائكةِ دائمةٌ مُستمِرَّةٌ

عُبِّرَ بصيغة المضارع في قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾؛ للتَّنبيه على تجدُّدِ وقوعِ التَّسبيح والإيمان والاستغفار منهم، واستمرارِهِ وتكرُّرِهِ، كما أنَّ حَمَلَهم العرشَ مُستمِرٌّ أيضًا، وفي ذلك إيماءٌ إلى أنَّ تعظيمَهم مُستمِرٌّ قولًا وفعلًا، ومعنى تجدُّدِ الإيمان: تجدُّدُ ملاحظته في نفوس الملائكة، وإلّا فإنَّ الإيمان عقدٌ ثابتٌ في النُّفوس، وإنَّما تجدُّدُهُ بتجدُّدِ دلائله وآثاره[1].

غرضُ حذفِ مفعولِ ﴿يُسَبِّحُونَ﴾:

في قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ إيجازٌ بحذف مفعول ﴿يُسَبِّحُونَ﴾، والتَّقديرُ: يُسبِّحونَ اللّهَ تسبيحًا مُصاحِبًا للحمدِ، فحُذِفَ المفعولُ لدلالة المتعلِّقِ به عليه[2].

معنى الباءِ في ﴿بِحَمْدِ﴾:

اقـترانُ تسبيحِ المـلائـكـةِ بحمدِهم

الباءُ في قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ للملابسةِ، أي: يُنزِّهونَ اللّهَ سبحانه عن كلِّ شائبةِ نقصٍ مُلتبِسينَ بحمده[3]، فهُم يَقرنونَ الحمدَ والثَّناءَ على الله تعالى بالتَّنزيهِ والتَّسبيحِ والأوصافِ الجليلةِ والجميلةِ.

بلاغةُ الإضافةِ في ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾:

الحمدُ مُستحَقٌّ للهِ تعالى

إضافةُ الحمدِ إلى الرَّبِّ في قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾؛ للدَّلالةِ على اختصاصِ اللّه تعالى بالحمد واستحقاقِهِ له، والإضافةُ من قبيل إضافةِ المصدرِ لمفعولِهِ، والفاعلُ معلومٌ، وهم الملائكة.

دلالةُ التَّعبيرِ بلفظِ الرَّبِّ مضافًا إلى ضميرِهم:

في اختيارِ لفظ الرَّبِّ في قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 90، وحبنكة، معارج التفكر: 12/ 325.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 90.
(3) النسفي، مدارك التنزيل: 3/ 200، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 267.

اجتماعُ التَّعليلِ والتَّشريفِ مِن مزايا الكلامِ المُنيفِ

إشعارٌ بسببِ استحقاقِهِ تعالى الحمدَ، وهو كونُهُ رَبًّا للملائكة مُحسِنًا إليهم، ففيه تعليقُ الحُكم بالمُشتقِّ الدّالِّ على علّيَّةِ الحُكم، وفي إضافته إلى ضميرهم تشريفٌ لهم وإكرامٌ لهم، وبيانٌ لكونِهم مقهورينَ تحت قدرتِهِ وتصرُّفِهِ[1].

فائدةُ ذكرِ الإيمانِ مع أنَّهُ مُسلَّمٌ بهِ:

علوُّ شأنِ الإيمانِ

وصفَ اللّه تعالى الملائكةَ بالإيمان في قوله: ﴿وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾، مع أنَّ اتِّصافَهم به معلومٌ لكلِّ أحدٍ؛ إظهارًا لشرفِ الإيمانِ وفضلِهِ، وترغيبًا فيه، وتنبيهًا على أنَّ الأمرَ لو كان كما تقول المجسِّمة؛ لكان حَمَلَةُ العرش ومن حوله مشاهدينَ معاينينَ، ولمّا وُصِفوا بالإيمان – لأنَّهُ إنَّما يوصَفُ بالإيمانِ الغائبُ – فلمّا وُصِفوا به على سبيل الثَّناء عليهم؛ عُلِمَ أنَّ إيمانَهم وإيمانَ مَن في الأرض سواءٌ في أنَّ إيمان الجميع بطريق النَّظر والاستدلال لا غير، وأنَّهُ مُنزَّهٌ عن صفات الأجرام[2]، وفي ذلك أيضًا تعريضٌ بالمشركين أن لم يكونوا مِثلَ أشرفِ أجناس المخلوقات[3].

معنى الباءِ في قوله تعالى: ﴿بِهِۦ﴾:

الباءُ في قوله تعالى: ﴿وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾؛ لتعديةِ الفعل إلى المفعولِ به، وفائدتُهُ تقييدُ فعلِ الإيمان ببيانِ من وقع عليه الفعلُ، كما أفادتِ التَّعديةُ تحديدَ دلالةِ الإيمانِ بأنَّهُ التَّصديقُ والاعترافُ.

بلاغةُ عطفِ ﴿وَيَسۡتَغۡفِرُونَ﴾:

تسليةُ المؤمنينَ باستغفارِ الملائكةِ المقرَّبينَ

قوله تعالى: ﴿وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ معطوفٌ على ما قبله، وفيه نظم استغفارِ الملائكة للمؤمنين في سِلْكِ وظائفهم المفروضة عليهم من تسبيحِهم وتحميدهم وإيمانهم؛ إيذانٌ بكمال اعتنائهم

(1) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 12.
(2) الزمخشري، الكشاف: 4/ 152، وأبو حيان، البحر المحيط: 9/ 237.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 90.

به، وإشعارٌ بوقوعه عند الله تعالى في موقع القبول[1]، وتنبيهٌ على معرفتِهم بعظمة النَّوع الإنسانيِّ عند الله، ولذلك طلبوا مَحْوَ ذنوب المؤمنين أعيانًا وآثارًا[2].

دلالةُ التَّرتيبِ بينَ الأفعالِ الثَّلاثةِ:

تقديمُ ما يتعلَّقُ بالله تعالى على ما يتعلَّقُ بالعبادِ

روعيَ في ترتيب الأفعال في قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ تقديمُ ما يتعلَّقُ بالله تعالى - وهو التَّسبيحُ والحمدُ والإيمانُ - على ما يتعلَّقُ بالعباد، وهو الاستغفارُ، فكمالُ السَّعادة مربوطٌ بأمرين: التَّعظيمُ لأمر الله، والشَّفقةُ على خلقِ الله، ويجب أن يكون التَّعظيمُ لأمر الله مقدَّمًا على الشَّفقةِ على خلق الله[3]، ولأنَّ الإخبارَ عن صنفَي الملائكة بأنَّهم يُسبِّحونَ، ويؤمنونَ بالله، تمهيدٌ للإخبار عنهم بأنَّهم يستغفرون للَّذينَ آمنوا، فذلك هو المقصودُ من الخبر، فقُدِّمَ له ما فيه تحقيقُ استجابةِ استغفارهم؛ لصدوره ممَّن دَأْبُهم التَّسبيحُ، وصفتُهم الإيمان[4].

معنى اللّامِ في قوله: ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾:

استغفارُ الملائكةِ لأجلِ المؤمنينَ

اللّامُ الجارَّةُ في قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ لامُ التَّعليلِ، فتفيد أنَّ استغفارَ الملائكة لأجلِ الَّذينَ آمنوا.

ويحتملُ أن تكون اللّامُ للاستحقاق والنَّفعِ، فتفيد استحقاقَ المؤمنين استغفارَ الملائكة بسبب إيمانِهم.

غرضُ التَّعبيرِ بالموصولِ:

الإيمانُ سببُ نَيْلِ الكراماتِ

عُبِّرَ بالموصولِ في قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾؛ للدَّلالةِ بما في حيِّزِ الصِّلة على أنَّ علَّةَ الاستغفارِ هي الإيمانُ، كأنَّهُ قيل: ويؤمنون به، ويستغفرون لمَنْ في مِثلِ حالهم، وفيه دليلٌ على أنَّ الاشتراكَ في

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 267، والقاسمي، محاسن التأويل: 8/ 303.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 13.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 488.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 89، وأبو موسى، آل حم، ص: 35.

الإيمان يجب أن يكون أدعى شيءٍ إلى النَّصيحة والشَّفقة؛ وإن تباعدت الأجناس والأماكنُ[1]، وأنَّ الاشتراك في الإيمان أشدُّ من الاتِّحاد في النَّسَبِ[2]، وفيه أيضًا تكريمٌ للمؤمنين لا تكريمَ بعده[3].

نكتةُ التَّعبيرِ بالماضي في ﴿ءَامَنُواْ﴾:

جيءَ بصيغة الماضي في قول الحقِّ ﷻ: ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾؛ للدَّلالة على أنَّ إيمانَهم قد صدرَ منهم على سبيلِ التَّحقُّقِ، وأنَّهم أوقعوا هذه الحقيقةَ[4]، ولذلكَ استحقّوا الاستغفارَ.

نكتةُ حذفِ مُتعلَّقِ الإيمان:

حُذِفَ مُتعلَّقُ الفعل ﴿ءَامَنُواْ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾؛ للتَّنبيه على أنَّهم يؤمنون بكلِّ ما يجب الإيمانُ به، ويحتمل أن يكونَ الفعلُ قد نُزِّلَ منزلةَ اللّازم، والمعنى: للَّذينَ تحقَّقَ فيهم الإيمانُ.

الإيمانُ باللهِ تعالى قيمةٌ عُليا

سرُّ عدمِ استغفارِ الملائكةِ لأنفُسِهم:

ذُكِرَ في قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ استغفارُ الملائكة للمؤمنين، ولم يُذكَرِ استغفارُ الملائكة لأنفُسِهم؛ لأنَّهُ لا حاجة لهم إلى الاستغفار؛ لأنَّهم لا يعصونَ اللّه ما أمرَهم، ويفعلون ما يؤمرون، ولو كانوا في حاجة إلى الاستغفار؛ لذكروا أنفسهم أوَّلًا[5].

الملائكةُ لا يحتاجونَ الاستغفارَ

علَّةُ فصلِ: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾:

فُصِلَ قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ عمّا قبلَه؛ لما بينهما من كمال الاتِّصال؛ لأنَّ هذه الجملةَ بيانٌ وتفسيرٌ لاستغفار الملائكة[6] بتقدير القول، أي: يقولون: ربَّنا وسعتَ كلَّ شيءٍ رحمةً[7].

بيانُ استغفارِ الملائكةِ

(1) النسفي، مدارك التنزيل: 3/ 200.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 13.
(3) أبو موسى، آل حم، ص: 34.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 13.
(5) أبو موسى، آل حم، ص: 35.
(6) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 490.
(7) الشهاب، عناية القاضي: 7/ 359.

بيانُ التَّسبيحِ والتَّحميدِ والإيمانِ والاستغفارِ

ويجوز أن تكون الجملة بيانًا لقوله: ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾؛ لأنَّ كلَّ ما دخل في مقول القول المحذوفِ يصحُّ أن يكون تسبيحًا وتحميدًا وإيمانًا واستغفارًا؛ لأنَّك لو قلت: اللّهمَّ اغفرْ لفلان؛ لكان هذا تسبيحًا ودعاءً وتحميدًا وإيمانًا؛ لأنَّ التَّوجُّهَ إلى الله بالحاجة جامعٌ لهذا كلِّهِ[1]، ويجوز أن تكونَ الجملةُ في محلِّ نصبٍ حالًا[2].

نكتةُ حذفِ حرفِ النِّداءِ:

حذفُ حرفِ النِّداء في قولِهِ تعالى: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ يفيد قوَّةَ إحساس الدّاعي بقُرْبِهِ من ربِّه، وأنَّ استحضارَهُ لنِعَمِ ربِّهِ جعل له دالَّةً على الله[3].

غرضُ النِّداءِ بلفظِ الرَّبِّ:

الرُّبوبيَّةُ منبعُ الفُيوضِ والكمالاتِ

آثرَ النَّظمُ توجيهَ الدُّعاءِ بلفظ الرَّبِّ في قولِهِ تعالى: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾؛ لأنَّهُ المناسبُ لمقامِ طلب غُفرانِ الذُّنوب؛ إذ الرَّبُّ من التَّربيةِ، وهي تبليغُ الشَّيءِ إلى الكمالِ، وغُفرانُ الذُّنوب كمالٌ، ولأنَّهُ أدخلُ في التَّضرُّعِ وأرجَى للإجابة[4]، وفيه استعطافٌ من العبد لمولاه الَّذي ربّاه، وقام بمصالحه من لَدُنْ نشأته إلى وقت ندائه، فهو جدير بألّا يُناديَهُ إلّا بلفظ الرَّبِّ[5].

دلالةُ الإضافةِ في ﴿رَبَّنَا﴾:

الاعترافُ بالرُّبوبيَّةِ في مقامِ الدُّعاءِ أدعَى للإجابةِ

أضافَ النَّظمُ الكريمُ لفظَ الرَّبِّ إلى الضَّميرِ العائدِ إلى الملائكة الدّاعينَ في قولِهِ تعالى: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾؛ إظهارًا لمزيد القُرْبِ والاستعطافِ، وليكونَ الدُّعاءُ في محلِّ القبولِ والإجابة؛ إذ الإضافةُ تتضمَّن الاعترافَ بالرَّبِّ تعالى.

(1) أبو موسى، آل حم، ص: 38.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 301.
(3) أبو موسى، آل حم، ص: 39.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 90.
(5) أبو حيان، البحر المحيط: 9/ 238.

بلاغةُ التَّعبيرِ بسَعَةِ الرَّحمةِ والعلمِ:

سَعَةُ الرَّحمةِ والعلمِ مِن دواعي الاستجابةِ

التَّوجُّهُ إلى اللهِ بالثَّناءِ بسَعَةِ رحمتِهِ وعلمِهِ في قوله: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾؛ لأنَّ سَعَةَ الرَّحمة ممّا يُطمِعُ باستجابة الغُفرانِ، وسعةَ العلمِ تتعلَّقُ بثبوتِ إيمانِ المؤمنينَ، وفي ذِكرِ سَعَةِ العلمِ كنايةٌ عن يقينهم بصدق إيمان المؤمنينَ، فهو بمنزلة قولِهم: أنت تعلمُ أنَّهم آمَنوا بكَ، ووحَّدوكَ[1].

نكتةُ الإضافة في قوله: ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾:

المُحيطُ بكلِّ شيءٍ يفرحُ بتوبةِ الآيبينَ

أُضيف لفظُ ﴿كُلَّ﴾ إلى لفظ ﴿شَيْءٍ﴾ النَّكرة في قولِهِ تعالى: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾؛ للدَّلالةِ على العُمومِ والشُّمولِ والإحاطة؛ أمّا كونه سبحانه قد وسِعَ كلَّ شيءٍ علمًا؛ فهو ظاهرٌ، وأمّا كونُهُ قد وسِعَ كلَّ شيءٍ رحمةً؛ فمعناه: في حدود مداركِنا أنَّ رحمتَهُ وسِعَتْ كلَّ شيءٍ ذي حاجةٍ إلى مقدارٍ ما من رحمةِ اللهِ[2].

بلاغةُ التَّمييزِ في الآية:

المبالغةُ في الاتِّصافِ أزجى للتَّفضُّلِ بالإجابةِ

قوله: ﴿رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾، في قوله تعالى: ﴿وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ تمييزٌ مُحوَّلٌ عن الفاعلِ، وأصلُ التَّركيب: وسِعَتْ رحمتُكَ وعلمُكَ كلَّ شيءٍ، وإنَّما جيء بالتَّمييز؛ لِما في تركيبه من المبالغة بإسنادِ السَّعَةِ إلى الذّاتِ ظاهرًا، حتَّى كأنَّ ذاتَهُ هي الَّتي وسِعَتْ، فذلك إجمالٌ يستشرفُ بهِ السّامعُ إلى ما يردُ بعدَهُ، فيجيء بعده التَّمييزُ المبيِّنُ لنسبة السَّعَةِ أنَّها من جانب الرَّحمة وجانب العلم، والتَّفصيلُ بعد الإجمال تمكينٌ للصِّفة في النَّفس[3].

نكتةُ تقديمِ الرَّحمةِ على العلمِ:

الرَّحمةُ أنسبُ بذكرِ الرَّحمةِ

قدَّمَ النَّظمُ الكريمُ الرَّحمةَ على العلم في قوله تعالى: ﴿وَسِعْتَ كُلَّ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 91.
(2) حبنكة، معارج التفكر: 12/ 326.
(3) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 52، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 91.

شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾؛ لأنَّها المقصودةُ بالذّات ها هنا[1]؛ إذ المقام لطلب المغفرة لهم، وهي مناسبةٌ لِذكر الرَّحمة؛ إذ هي من ثمراتها، وإنَّما ذُكِرَ العلم للإشارة إلى أنَّهُ تعالى عالمٌ بهم، واستحقاقِهم لذلكَ[2].

بلاغةُ الكنايةِ في سَعَةِ العلمِ:

ذِكرُ سَعَةِ العلمِ في قوله جلَّ ذكره: ﴿وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ كنايةٌ عن يقينهم بصدق إيمان المؤمنينَ، فهو بمنزلة قولِهم: أنت تعلمُ أنَّهم آمَنوا بكَ، ووحَّدوكَ[3].

معنى الفاءِ في قوله: ﴿فَٱغْفِرْ﴾:

مَنْ عَلِمَ ورَحِمَ حَـريٌّ بإجابةِ الدُّعاءِ

الفاءُ في قوله تعالى: ﴿فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ﴾ عاطفةٌ للتَّفريعِ، فتفيد ترتيبَ الدُّعاء على ما قبلها من سَعَةِ الرَّحمةِ والعلم[4]؛ لأنَّهُ إذا كان قد عَلِمَ صِدقَ توبةِ مَنْ تابَ مِنهم، وكانت رحمتُهُ وسِعَتْ كلَّ شيء؛ فقد استحقّوا أن تشملَهم رحمتُهُ؛ لأنَّهم أحرياءُ بها[5]، وفي الكلام تنبيهٌ على أنَّ السُّنَّة في الدُّعاء أن يُبدأ فيه بالثَّناء على الله تعالى، ثمَّ يُذكَرَ الدُّعاءُ عَقيبَهُ[6].

دلالةُ التَّعبير بالأمرِ في قوله: ﴿فَٱغْفِرْ﴾:

الأمرُ الواردُ في قوله تعالى: ﴿فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ﴾ للدُّعاء؛ لأنَّه أمرٌ من الأدنى إلى الأعلى، وقد سُبِقَ بثناء السّائل على المسؤول؛ تضرُّعًا وتوسُّلًا.

نكتةُ حذفِ مفعولِ ﴿فَٱغْفِرْ﴾:

مَـنْ قـصـدَ الكريمَ؛ أطلقَ المسألةَ

حُذِفَ مفعولُ ﴿فَٱغْفِرْ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ﴾؛

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 52، والهرري، حدائق الروح والريحان: 25/ 126.
(2) الشهاب، عناية القاضي: 7/ 359.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 91.
(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 267.
(5) ابن عاشور، التحرير والتَّنوير: 24/ 91.
(6) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 491.

للعلم به، أي: فاغفِرْ ذنوبَ الَّذين تابوا[1]، وللإيماء إلى أنَّ مَنْ طلبَ الغُفرانَ من الكريم الرَّحيم؛ فإنَّهُ لا يُقيِّدُ مطلبَهُ إلّا بأوصافِ المُكرَمينَ دونَ أعمالِهم الَّتي تستدعي المغفرةَ.

معنى اللّامِ في قوله: ﴿لِلَّذِينَ﴾:

اللّامُ في قوله تعالى: ﴿فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ﴾ للتَّعدية، وتفيد أنَّ غايةَ الغُفرانِ وصولُهُ إلى الَّذينَ تابوا.

غرضُ العدولِ عن الضَّميرِ إلى الموصولِ:

الإيماءُ إلى علَّةِ الغُفرانِ

الظّاهرُ أن يقال: (فاغفِرْ لهم)، لكن عُدِلَ إلى التَّعبير بالموصول في قوله تعالى: ﴿فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ﴾؛ إشارةً بما في حيِّز الصِّلةِ إلى علَّة الغُفرانِ للمدعوِّ لهم، وهي كونُهم قد تابوا، واتَّبعوا سبيلَ الحقِّ، ومن لطائف هذا التَّعليل: أنَّ الملائكةَ كما علَّلوا الغُفرانَ في حقِّ مُفيضِ الخيراتِ بالعلم الشّاملِ والرَّحمةِ الواسعةِ؛ علَّلوا قابلَ الفَيْضِ أيضًا بالتَّوبة واتِّباعِ سبيل الحقِّ[2].

نكتةُ صيغةِ الماضي في ﴿تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ﴾:

جيءَ بصيغة الماضي في قوله عزَّ وعلا: ﴿تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ﴾؛ دلالةً على صدورِ التَّوبةِ والاتِّباع منهم وتحقُّقِهما، وفي ذلكَ تأكيدٌ للتَّضرُّع وطلبِ الغُفران.

بلاغةُ عطفِ ﴿وَٱتَّبَعُواْ﴾:

التّائبُ المتَّبِعُ لسبيلِ اللهِ لا يخيبُ

عُطِفَ اتِّباعُ السَّبيل على التَّوبة في قوله تعالى: ﴿تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ﴾؛ للتَّنبيه على أهمّيَّةِ الجمعِ بينَ ترك الشِّركِ المُعبَّرِ عنه بالتَّوبةِ وبينَ اتِّباع سبيل الحقِّ الشّاملِ للإيمان وعملِ الصّالحاتِ وتركِ المعاصي.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 91.
(2) الطيبي، فتوح الغيب: 13/ 470.

بلاغةُ التَّعبيرِ بالاتِّباعِ:

طالبُ الغُفرانِ يتحرَّى الحقَّ

عبَّرَ النَّظمُ الكريمُ بلفظِ الاتِّباع في قولِه تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ﴾؛ لدلالته بحسَبِ الأصل على الجَرْيِ خلفَ الشَّيءِ، والاقتداءِ به، فالمُتَّبِعُ طالبٌ للحقِّ، لا يَكُفُّ عن ملاحظتِهِ وطلبِهِ حيثُ كانَ.

دلالةُ صيغةِ الافتعالِ:

جيء بصيغة الافتعال في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ﴾؛ للإيماءِ إلى مبالغة المؤمنين في الانقيادِ للحقِّ، وأنَّهم يجاهدون أنفسَهم على ذلك[1].

نكتةُ الإضافةِ في قوله: ﴿سَبِيلَكَ﴾:

عِـظَـمُ شـأنِ الإسلامِ

إضافةُ السَّبيل إلى ضمير المخاطَبِ في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ﴾؛ لتشريفِ السَّبيل وتفخيمِهِ، وبيان عُلوِّهِ على باقي السُّبُلِ، فهو سبيلُ ذي العظمة والجلالِ، وفي ذلكَ مِن تعظيم شأنِ الإسلام، ما لا يخفى؛ إذ هو المرادُ بالسَّبيل هنا[2].

سرُّ العطفِ في قولِهِ: ﴿وَقِهِمْ﴾:

تأكيدُ الغُفرانِ بطلبِ لازمِهِ

الواوُ في قولِه تعالى: ﴿وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾؛ للعطفِ على الغُفرانِ عطفَ اللّازمِ على الملزومِ؛ إذ يلزمُ من غُفرانِ الذُّنوبِ الوِقايةُ من عذابِ الجحيمِ؛ إلّا أنَّهم عضَّدوا دلالةَ الالتزامِ بدلالةِ المطابقةِ؛ إظهارًا لحرصهم على المطلوب[3]، وتأكيدًا واحتراسًا من غُفرانِ بعضِ الذُّنوبِ الَّتي لا تُؤدّي إلى الوِقايةِ من الجحيم، ومن وقوعِ الغُفران دونَ الوِقايةِ المذكورة؛ إذ للّه تعالى أنْ يُعذِّبَ من يشاءُ بعَدْلِه[4]، وفي العطف أيضًا التَّهويلُ مِن عذاب الجحيم، وبيانُ أنَّ الدُّعاءَ بالوِقاية منه لا يُكتفَى فيه بالدِّلالة المتضمِّنة؛ لأنَّهُ أمرٌ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 14.
(2) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 17/ 20.
(3) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 52، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 92.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 14.

عظيم، فجاء النَّصُّ عليه بالدُّعاء الصَّريح[1]، وبذلك يُعلَمُ أنَّ تقديم الغُفران على الوِقاية من باب تقديم الضِّمنيِّ على الصَّريح.

دلالةُ الأمرِ في قوله: ﴿وَقِهِمْ﴾:

الأمرُ في قوله تعالى: ﴿وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ للدُّعاء؛ لأنَّه أمرٌ من الأدنى إلى الأعلى، وهو واردٌ على سبيل التَّضرُّع والتَّوسُّل.

بلاغةُ الإضافةِ في قوله: ﴿عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾:

تـهـويـلُ شـأنِ العذابِ

إضافةُ لفظِ العذابِ إلى الجحيم في قوله تعالى: ﴿وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾؛ للاختصاصِ وبيانِ حقيقةِ العذابِ المطلوبِ الوِقايةُ منهُ، وتفيدُ الإضافةُ أيضًا أنَّه عذابٌ عظيمٌ خارجٌ عن حدود الاحتمالِ والتَّصوُّرِ.

نكتةُ تعريفِ ﴿ٱلْجَحِيمِ﴾:

تعريفُ الجحيم في قوله تعالى: ﴿وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ للعهد؛ إذ هي علَمٌ على محلِّ اللهيب المشتعلِ بقوَّةٍ وعُنْفٍ.

نكتةُ التَّعبيرِ بالجحيمِ دونَ النّارِ:

عُبِّرَ في قوله تعالى: ﴿وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ بالجحيم دونَ النّار؛ لأنَّ في الجحيمِ دلالةً على النّار مع شدَّةِ لهيبِها واتِّقادِها، وبُعْدِ قَعْرِها[2]، فتكون الوِقايةُ منه أعظم مطلوبٍ.

❁ الفُروقُ المُعجَميَّةُ:

السَّبيلُ والصِّراطُ والطَّريقُ:

الطَّريقُ إلى اللهِ مُمهَّدٌ سَهْلٌ

الطَّريقُ: ما يُسلَكُ مطلَقًا، والسَّبيلُ: ما هو معتادُ السُّلوكِ، ولذلكَ يُستعمَلُ كثيرًا في الطَّريقِ الَّذي فيهِ سهولةٌ، وتكثرُ إضافتُهُ في القرآنِ إلى لفظِ الجلالةِ؛ إشارةً إلى سهولةِ الوصولِ إليهِ سبحانَهُ، والصِّراطُ: ما لا اعوجاجَ فيهِ يمنةً ويسرةً[3]، وقد اختيرَ السَّبيلُ هنا لدلالتِهِ على أنَّ طريقَ الحق والإيمان فيه سهولة؛ لأنَّه معتاد السُّلوك.

(1) أبو موسى، آل حم، ص: 42.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 92، وحبنكة، معارج التفكر: 12/ 327.
(3) داود، معجم الفروق الدلالية، ص: 281 - 284.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والخمسون،
سورة الزُّمر من الآية 73 إلى سورة غَافِر الآية 76
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والخمسون، سورة الزُّمر من الآية 73 إلى سورة غَافِر الآية 76
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 51 ، 822 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-642-97-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 51 : المجلد الحادي والخمسون، سورة الزُّمر من الآية 73 إلى سورة غَافِر الآية 76.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-642-97-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4644027 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»